

ترتيبها	سورة	آياتها
٦	الأنعام	١٦٥
	مكية*	

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾

سورة الأنعام هي السورة المكية الأولى - إلا بضع آيات مدنية - في السبع الطوال التي ترسى قواعد عقيدة التوحيد الخالص بين عقول تعيش في مناخ فكري مختلط<sup>(١)</sup> . . .

(\*) إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [١٥١-١٥٣] إلى تمام الآيات الثلاث.  
(١) فمن تقاليد غريبة على الإسلام تراكمت على المسيحية تتكلم عن إله صفعه الناس على وجهه وكالواله جميع الإهانات، ثم صلبوه في النهاية، وتراكمت على اليهودية تتكلم عن إله نزل إلى الجنة ليتمشى، ومنع آدم من أن يأكل من شجرة المعرفة، وقال: «ها الإنسان قد صار كواحد منا (!) يميز بين الخير والشر، وقد يمد يده ويتناول من شجرة الحياة ويأكل فيحيا إلى الأبد، فأخرجه من جنة عدن ليقفح الأرض التي أخذ من ترابها، وهكذا طرد الله الإنسان من جنة عدن» . . . ثم وجد ذلك الإله الناس اجتمعوا في بابل ليبنوا برجاً يبلغ عنان السماء، وكانوا يتكلمون لغة واحدة، فقال الرب: «إن كانوا كشعب واحد ينطقون بلغة واحدة قد عملوا هذا منذ أول الأمر، فلن يمتنع إذا عليهم أى شىء عزموا على فعله، هيا نزل إليهم ونبلي لسانهم حتى لا يفهم بعضهم بعضاً، وهكذا شتتهم الرب». ثم يتصارع الله مع يعقوب، ولما لم يقدر عليه سماه إسرائيل، أى جاهد مع الله. ثم يتحدث التراث اليهودى عن ندم الله على عقابه لبني إسرائيل، وبكائه على ذلك، وعن العلاقة الخاصة جداً بين الله وبني إسرائيل، قد =

كثير الجدول بين رسول الله محمد (ﷺ) والكفار، فتكررت كلمة ﴿قُلْ﴾ أكثر من أربعين مرة (١).

\*\*\*

تشير الآيات إلى قدرة الله وعظمته، وتستوجب حمد المخلوقين على نعمه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ بعد هذا الخلق البديع وتسخير ما في الكون لبنى آدم، وخلق ظلمات الكون والنفوس ونورها، نرى الذين كفروا يجحدون النعم، ويتبدعون شركاء لله الواحد القهار، يسوونهم به في العبادة والاستعانة ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ تذكرة مفحمة للمتكبرين ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ في الحياة الدنيا لمدة محدودة تنتهي بالموت، ثم مدة أخرى ليوم البعث ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ثم تُشككون في البعث والحساب، بينما رب العالمين ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ مُطَّلِعٌ على جلائل ودقائق الأمور ﴿يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ما أخفيتم وأعلنتم من خير أو شر ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ وكلما جاءتهم بينة من بينات الله، أعرضوا عنها.

\*\*\*

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمُكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

= تظهر كما لو كانت علاقة زواج عند بعض المغالين، وكثيراً ما مثل الكتاب المقدس انحراف بنى إسرائيل وراء آلهة أخرى بالزنا وبالحيانة الزوجية، وتسرب بعض ذلك لبعض الأقوال المسيحية. وتتكلم الأساطير الآسيوية عن الإهين، إله ظلمة وإله نور يتصارعان، وذلك في فارس القديمة، وآلهة متعددة لكل منها عمل أسطوري، وعبادات متفرقة أخرى في آسيا، منها عبادة الأرواح، وعبادة الطبيعة، وعبادة الأسلاف. أما العرب الوثنيون، فكانوا يقرون بوجود خالق، ولكنه إله خلق فقط وليس إله ربوبية، ليس له دخل بما يفعلون في حياتهم، ويعبدون أوثاناً لتقربهم الله، رغم أنه عندهم إله خلق فقط، وليس إله ربوبية، وقد يصنعونها من حلوى يأكلونها إذا احتاجوا، ولا يؤمنون ببعث ولا حساب، وأساطير فرعونية وإغريقية ورومانية تتكلم عن حكام أبناء آلهة، أو أنصاف آلهة، أو حتى آلهة، وثلاثيات مقدسة مثل إيزيس وأوزوريس وحورس.

(١) جدير بالذكر هنا نبوءة سفر التثنية، وفيها قال موسى (ﷺ): فقال لى الرب: ... لهذا أقيم لهم نبياً من بين إخوانهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما أمره به- ١٨: ١٨.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴾ عندما نزل القرآن على محمد (ﷺ) الذى يعرفون صدقه وأمانته، كذبوا به واستهزءوا، فلينتظروا تبعات استهزائهم. أولم يعتبروا بالأولين كقوم نوح وهود وصالح (عليهم الصلاة والسلام)، مكناهم فى الأرض أكثر مما مكننا لكم فيها، وأنزلنا عليهم المطر بكثرة وأجرينا الأنهار تحتهم، فعاشوا فى خصب ووفرة، ولكنهم ظلموا واعتدوا ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فاستأصلناهم عندما جحدوا رسلنا ﴿ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ وخلقنا بعدهم أمماً أخرى.

\*\*\*

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٧)

تبين هذه الآية أن هناك فريقاً من الناس يرفضون الإيمان، حتى لو أنزل الله على رسوله (ﷺ) كتاباً فى أوراق، لمسوها بأيديهم، لقال ذلك الفريق الكافر ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ هذا الفريق مثل كثير من أحنبار اليهود وعلماهم، الذين كذبوا آيات المسيح (ﷺ) وجحدوه، وأولئك هم الذين تنطبق عليهم آية ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

\*\*\*

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٨) ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ (٩)

وقال الكفار هلا أنزل الله عليه ملك حتى نصدقه، ويرد عليهم رب العالمين ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ولو استجبنا لهم وأرسلنا ملكاً كما أرادوا ثم لم يؤمنوا لحاق بهم العذاب وانتهى الأمر ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ثم لا يمهلون ولا يؤجلون ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ حتى يمكن التعامل والتفاعل بينه وبينهم، فلا أحد يعرف طبيعة الملائكة، وكيف تعيش وكيف تعمل، وقد كرر الله - سبحانه - أنه لو أراد لجعل كل الناس مؤمنين، ولكن من حكمته أن وهبهم الفطرة والإدراك الكافيين، وابتلاهم بالتكليف، فلا يجيء أحد من البشر المخلوقين من تُطْفَ فيجادلون ربهم بوضع شروط لإيمانهم ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا

**يَبْسُونَ ﴿﴾** لأحاطنا وأشكلنا عليهم حيثُ ما يخلطون على أنفسهم، فيقولون إن هذا بشرٌ، وليس ملكًا.

\*\*\*

**﴿﴾** وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾  
**﴿﴾** قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾

وكأنما يقول الله لرسوله لا تحزن باستهزاء الكفار وسخريتهم، فمثلك وقومك كمثل الرسل من قبلك وأقوامهم الذين سخروا منهم، ثم أصاب الذين سخروا برسلمهم العقاب الذي أنذرهم به رسلمهم. قل لهم يا محمد: سيروا في الأرض لتروا عاقبة الأمم السابقة التي جحدت آيات الله، وماذا أصابهم من دمار وهلاك.

\*\*\*

**﴿﴾** قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

قل لهم يا محمد: من يملك السماوات والأرض ومن فيهن؟ قل الله، كتب على نفسه الرحمة، ودلائل رحمة الله منتشرة في الكون، وفي آيات القرآن، وفي الحديث: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي» رواه البخاري، والسبق هنا بمعنى التغلب، وليس سبقًا زمنيًا فقط **﴿﴾** لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ **﴿﴾** لا شك فيه، ويكون الخاسرون يومئذ هم من لا يؤمنون منكم، بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر.

\*\*\*

**﴿﴾** وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

إنه مالك الليل والنهار، وكل ما استقر وحل فيهما **﴿﴾** وَهُوَ السَّمِيعُ **﴿﴾** لا يوجد من هو أسمع منه، فهو خالق الأصوات والأسماع **﴿﴾** الْعَلِيمُ **﴿﴾** لا يخفى عليه شيء في الوجود **﴿﴾** أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ **﴿﴾** [الملك: ١٤].

\*\*\*

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾

طالما طالب المشركون محمداً (ﷺ) أن يعبد أصنامهم ويتناوبوا معاً عبادة الأصنام وعبادة الله، فقال تعالى لرسوله (ﷺ) قل لهم يا محمد ﴿ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾ وهو استفهام إنكارى، هل يعقل أن أتخذ معبوداً غير الله؟! وهو ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خالق السماوات والأرض ومبدعهما، وهو ﴿ يُطْعَمُ ﴾ يرزق المخلوقات ﴿ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ وهو فى غنى عن جميع خلقه ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أول من يسلم لله، ولن أكون من المشركين؛ لأنى ﴿ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أخاف يوم الحساب ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ من يزحزح عن النار برحمة ربه ويدخل الجنة، فقد فاز ﴿ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) ﴾

إن الله وحده هو الضار للناس بأعمالهم، وهو وحده النافع برحمته؛ وجاء فى الحديث: «إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى. فهو الغالب بقدرته وسلطانه ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ صاحب الحكمة البالغة، وهو واهب الحكمة ومانعها ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بكل شيء .

\*\*\*

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) ﴾

قل لهم يا محمد: ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ ما هى أكبر شهادة؟ فإن لم يجيبوا، فقل لهم: ﴿ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ شهادة الله أكبر شهادة، وإنما ذلك لإقامة الحجة على

الجاحدين - وفي الحقيقة ليس هناك شهادة حقة سوى شهادة الله - وهو عالم بما جثتكم به من حق، وقد أوحى الله إلى بهذا القرآن لأنذرکم ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ نذير أيضاً لكل من وصل إليه القرآن في كل أنحاء العالم، في كل مكان وزمان ﴿ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى ﴾ إن كنتم تقولون إن مع الله آلهة أخرى، فأنا برىء مما تشهدون ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

\*\*\*

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾  
 ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٠)

يعرف علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى محمداً بصفاته في كتبهم معرفة تامة كما يعرفون أبناءهم<sup>(١)</sup>، وهم بذلك قد خسروا أنفسهم حين تنكروا للرسول (ﷺ) وكفروا به وبالقرآن، وَمَنْ أَظْلَمُ مِنَ الْكَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ وَالْمُكذِبِينَ بِآيَاتِهِ، ولن يفلح الظالمون .

\*\*\*

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤)

تصور الآية مشهداً من مشاهد المشركين يوم يُحشر الناس جميعاً للحساب، ويسأل الله تعالى المشركين: أين من زعمتم أنهم شركاء الله؟ ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ ﴾ الفتنة من الفتن، وهو إدخال الذهب النار لمعرفة جودته من رداءته، ثم استخدمت الكلمة في معان كثيرة، من بينها الاعتذار، وهو المعنى المقصود هنا، أى لم يكن اعتذارهم عن ذلك إلا أن نفوا شركهم في الدنيا، انظريا محمد كيف يكذبون يوم القيامة، وغابت عنهم الآلهة التي زعموها بضلالهم .

\*\*\*

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَنْ يَقُولُوا هَذَا نَحْنُ نَكُفِّرُ عَنْكَ وَيَجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٦)

(١) ارجع لشرح الآية ١٤٦ في سورة البقرة .

من أهل مكة من يستمع إليك يا محمد وأنت تتلو القرآن، إلا أن تكبرهم وجحودهم جعل الله يختم على قلوبهم، وكان عليها أغطية، ويضع في آذانهم صمماً وثقلاً، ومهما رأوا من الآيات فلا تنشرح صدورهم بالإيمان، وفقاً لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦] حتى إذا قابلوك جادلوك رفضاً وتعنتاً، وفي النهاية يقولون ما القرآن إلا قصص الأمم السابقة التي سطرها الرواة في سطور، ثم ينهون الناس عن الاستماع إلى القرآن خشية أن تخشع قلوبهم، ويتباعدوا عنه ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

\*\*\*

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
 ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾  
 وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

ولو ترى يا محمد هول يوم الحساب، عندما نحبس أولئك المكذبين أمام النار، فيقولون يا ليتنا نعود للدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونصبح من المؤمنين، بل ظهر لهم ما كانوا يخفونه من أعمال قبيحة عن الناس من قبل، وقيل ظهر لهم ما استيقنته أنفسهم وجحوده من صدق محمد (ﷺ) في رسالته، وفي علم الله الأزلى أنهم حتى إن عادوا إلى الحياة الدنيا فسيجحدوا ثانية البعث والحساب، وسيعودوا لفعل ما نهاهم الله عنه، ويقولوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ولو تراهم عندما يحبسهم ويسألهم: أليس هذا بالحق؟ فعندئذ يعترفون أن البعث والحساب والدار الآخرة حق، فيجيبهم رب العالمين ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

\*\*\*

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

من ينكر البعث ينكر لقاء الله يوم القيامة، وجاء في الحديث «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه» رواه مسلم، فأى خسارة هم فيها، إذا ما جاءتهم القيامة فجأة، فيقولون واندماه، واحسرتاه على ظلمنا أنفسنا في الدنيا بتضييع حقوق الله وحقوق أنفسنا وحقوق العباد، ويحملون ذنوبهم على ظهورهم، فما أسوأ ما يحملون، متع الدنيا قصيرة زائلة زائفة، والعاقل من يتقى الكفر والشرك وعصيان الله، ويحمل أمانة التكليف بحقها، فيفوز بالدنيا والآخرة.

\*\*\*

﴿ قَدْ تَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣)

قال الطبري: [قال السدي]: قال الأحنس بن شريق لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمداً قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصي باللواء والسقاية والحجاجة<sup>(١)</sup> والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟

تبين هذه الرواية، وشبهاتها، أن هؤلاء المكذبين لم يكونوا يعتقدون أن رسول الله (ﷺ) يكذبهم فيما يبلغه لهم، وإنما هم كانوا مصرين على شركهم لمثل هذه الأسباب التي وردت بها الروايات، وما وراءها من السبب الرئيسي، وهو ما يتوقعونه من هذه الدعوة من استرداد السلطان الذي اغتصبوه، وهو سلطان الله وحده، كما هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله التي يقوم عليها الإسلام، وهم كانوا يعرفون جيداً مدلولات لغتهم؛ وكانوا لا يريدون أن يسلموا بمدلول هذه الشهادة، فهو يمثل ثورة كاملة على كل سلطان غير سلطان الله في حياة العباد.

\*\*\*

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَيَّ مَا كُذِّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنَا هُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣٤)

لا تحزن يا محمد؛ لقد كذبت أقوام كثيرة رسلها، فصبر الرسل على تكذيب أقوامهم وعلى أذاهم حتى أتاهم نصر الله، ولا يمكن لأحد تبديل كلمات الله ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا

(١) اللواء: هو شرف حمل اللواء في الحروب، والسقاية: هي سقاية الحجاج والمعتمرين، والحجاجة: هي شرف القيام بشئون الكعبة.

لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ [الصفات]، ولقد ذكرنا لك أنباء المرسلين قبلك، فلك فيهم عبرة.

\*\*\*

﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَعْثُبُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) ﴾

شق وصعب عليك إعراضهم عن تصديق آيات الله، فإن ملكت أن تحفر في الأرض نفقاً أو تأتى بسلم إلى السماء لتأتيهم بمعجزة تهديهم بها، ولكنهم لن يؤمنوا؛ لأنهم يعلمون الحق ويجحدونه، فلا تتألم وتهلك نفسك؛ لأن الله لو أراد لهم الهدى بأى وسيلة لجمعهم عليه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بمثل هذا التمنى، فالذين يستجيبون للحق هم الذين لهم آذان يسمعون بها، أى الذين يستفيدون مما أعطاهم الله من فطرة وآذان وأبصار وعقول ومدارك، أما الذين أماتوا كل ذلك، فسيحييهم الله - بما أماتوه - يوم الحساب.

\*\*\*

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صَمٌّ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩) ﴾

ويعود القوم إلى طلبهم الأول ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)﴾ وفى ذلك قال محمد الغزالي:

[وأنا أعجب؛ إذا كان النظام الكونى لا يدل على الله، فهل خرق هذا النظام أحياناً هو الذى يدل على الله؟

إن القمر يدور حول الأرض من دهور خلت، لا يتباطأ ولا يعوجّ.

فهل هذا الاطراد لا يشهد للخالق القدير، ويشهد له انشقاق القمر بضع دقائق؟

هل السراج الوهاج الذى لا يخبو وهجّه على اختلاف الليل والنهار لا يدل على الله العظيم؟ ويدل عليه تأخر الغروب بضع دقائق ليوشع غلام موسى؟

إننى أشهد عالم الحيوان والإنسان والحشرات الزاحفة والطائرة، فأدهش لسُنن الله فى حياتها وبقائها وضمان الرزق لما دقّ وجلّ منها .

ولعل ما نذكر هو السر فى سوق هذه الآيّة لمن يطلبون خوارق العادات من صاحب الرسالة العظمى ، أعنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٨) ولقد استوقفتنى منظر العصفورة الأم وهى تطوف بين الحقول ثم ترجع بالغذاء فى جوفها ، ثم تفتح منقار وليدها فى العُش لتطعمه وتسقيه !!

صنع الله الذى أتقن كل شىء ، ومع ذلك يجهل المشركون الله الواحد ، ويعكفون على حجر أصم ، ويقولون لمحمد : هات لنا خارقاً من خوارق العادات حتى نؤمن بك ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٣٩) .

والغريب أنهم يحلفون أنهم سوف يؤمنون عندما يجرىء هذا الخارق المطلوب ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٩) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴿ [الأنعام] ﴾ (١١٠) .

هيئات ! إن الأعمى لا يبصر ما دام مصمماً على إغلاق أجهانه] . .

﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أكثر المفسرين على أنه اللوح المحفوظ ، وقال بعضهم : هو القرآن ، ومن قال القرآن ، قال : فى المسائل الشرعية لدينا القرآن والسنة التى أمر باتباعها ، وأمرت بالاجتهاد فيما ليس فيه نص ، والاجتهاد واسع بوسائله وآياته المتعددة ، وفى المسائل الأخرى جاء قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ [النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧] .

\*\*\*

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٠) بل إياه تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأَلُونَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (٤١) ﴿

يقول تعالى مخاطباً الجاحدين : أخبرونى إذا ما آتاكم عذابُ الله فى الدنيا أو عند قيام الساعة ، أتدعون غير الله لينجيكم من العذاب ؟ أخبرونى إن كنتم صادقين ﴿ بل إياه تَدْعُونَ ﴾ ﴿

لا يوجد غير الله تلجأون إليه بالدعاء ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ﴾ يرفع عنكم العذاب إن شاء ﴿وَتَسْؤُونَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ فتنسون الآلهة الأخرى التي كنتم تعبدونها .

\*\*\*

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْيَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾

أرسلنا رسلاً إلى أقوام قبلك يا محمد، وناوبنا عليهم الشدة والقحط والفقير والمرضى لعلهم يرجعون إلى ربهم ويتضرعون إليه بالدعاء، فلو أنهم حين مسهم الضر توسلوا إلى الله، وتذللوا بالتوبة لعفا عنهم وهداهم، ولكن تحجرت قلوبهم، وصدق عليهم الشيطان ظنه حين رأوا ما يعملونه حسناً، فلما أغفلوا ما ذكرناهم به من ضرورة الإيمان بالله وطاعة الرسل والعمل الصالح، ابتلاهم ربهم بالسراء، ففتح عليهم أبواب الخيرات حتى طغوا وتجبروا واطمأنوا للدوام الدنيا وفرحوا بها، ونسوا لقاء الله، فأهلكناهم فجأة، فأصبحوا متحسرين يائسين، وجاء في الحديث «إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» رواه أحمد، فأهلك الله القوم الذين ظلموا عن آخرهم، والحمد لله رب العالمين .

\*\*\*

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ (٤٧)﴾

أخبروني إذا استرد الله منكم السمع والبصر، وطمس على قلوبكم ففقدتم الإدراك والتمييز، من يملك غير الله أن يرد ذلك إليكم؟ انظر يا محمد كيف نعرض الآيات ونقلبها وننوعها من برهان إلى آخر، ومع ذلك يعرضون. أخبروني إن أتاكم عذاب الله فجأة أو جهراً، فماذا تنتظرون إلا أن يهلك القوم الظالمون؟ .

\*\*\*

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩)

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ بالثواب ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ بالعقاب الأليم، فأما المؤمنون الذين سعوا في إصلاح أنفسهم ومجتمعاتهم ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ في الدنيا والآخرة، وأما الذين يجحدون آيات الله فعاقبتهم العذاب بما كانوا يعصون.

\*\*\*

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥٠) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٥١)

قل لهم يا محمد: إنك عبد الله، لا تملك خزائن الله وما بها من أرزاق، ولا تعلم الغيب، ولا تدعى أنك من الملائكة، فأنت بشرٌ يوحى إليه، فيتبع الوحي ويبلغه للناس، واسألهم: هل يستوى من يبصر الهدى والذي يتعمى عنه؟، فتفكروا في آيات الله وتدبروا، وأنذر بالقرآن الذين يخشون الله، وليس لهم أولياء غيره، ولا ينتظرون شفاعته إلا بإذنه.

\*\*\*

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (٥٣)

وهكذا يكون عناد الجاحدين، فبعد أن طلبوا مقابل إيمانهم خارقة من الخوارق، عادوا يطلبون من رسول الله (ﷺ) أن يطرد من حوله من الفقراء والضعفاء والعبيد الذين آمنوا به حتى يحتكروا الإيمان والآخرة كما أرادوا احتكار الدنيا، فنزلت الآية تنهى الرسول (ﷺ) عن طرد أولئك البسطاء الذين يتبعون وجه الله ويدعون نهاراً وليلاً ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ليس عليك من حسابهم شيء، ولا عليهم من حسابك شيء، تصديقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فإذا طردتهم يا محمد نزولاً على رغبة أولئك المتكبرين لأصبحت من الظالمين. وجاء في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: نزلت هذه الآية فينا، ففى ابن مسعود وصهيب وعمار

والمقداد وبلال . ولقد اختبرنا بعض الناس ببعض ، ليقول بعض الظالمين : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ فأجاب الله : أليس الله بأعلم بالشاكرين؟

\*\*\*

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِّنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتبينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

يأمر الله رسوله أن يزف البشرية إلى هؤلاء المؤمنين ، يقرئهم السلام يبشرهم برحمة الله الواسعة ، ويطمئن قلوبهم بأن من عمل سوءاً وهو يجهل أحرام أم حلال ما فعل ، ثم علم بعد ذلك فتاب إلى الله وأصلح من أعماله ، فإن الله الغفور الرحيم سيقبل توبته ، وكذلك نفصل آيات الشريعة ، ونبين لكم طريق المجرمين حتى تجتنبوه .

\*\*\*

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

وهكذا دائماً يرد الرسول (ﷺ) - بالإرشاد الإلهي - كل الشبهات التي يحاول الكفار إثارتها حول الدعوة وصاحبها ، قل يا محمد إن الله قد نهاني عن عبادة غيره ، قل إنني لن أتبع أهواءكم ؛ لأنني أرى طريق الهدى ، وإن اتبعتمكم لأصبحت من الضالين ، قل إنني على بصيرة من الله ، ولكنكم كذبتهم بالله ورسالته ورسوله ﴿ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ من العذاب - كما جاء في سورة الأنفال ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣٢] - فالحكم لله وحده ، يقول الحق ، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل ، قل لهم يا محمد لو أملك ما تطلبون لانتهى الأمر بإهلاككم إثر استعجالكم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا  
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٥٩]

شبه القرآن الغيب بالأمور الجليلة عظيمة الشأن التي يقفل عليها بالأقفال، فلا يعلمها إلا الله، يحيط علمه بما في الأرض والسماء، وما تسقط ورقة من شجرة أو نبات، ولا حبة من بذور النبات داخل الأرض، ولا قطرة ندى ولا ذرة مادة جافة إلا بأمر الله، وكل ذلك مسطور في اللوح المحفوظ، أو كتاب الكون عند الله، ويقول تعالى في سورة الملك: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [١٤]، وفي سورة القمر ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴾ [٥٣] ومستطر أى مسطور مكتوب، وجاء في الحديث «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله»، ثم قرأ الآية الأخيرة من سورة لقمان ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٣٤] رواه البخارى .

\*\*\*

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦٠) وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴿٦١﴾ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴿٦٢﴾

وهو الذى يقبض أرواحكم فى الليل عندما تنامون، وأصل التوفى: أخذ الشيء وافيًا - وجاء فى سورة الزمر ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيم\_Sِكِ الْبَرِّ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤٢) - ويعلم ما كسبتم فى النهار، ثم يوظفكم فى النهار لعدد من السنوات والأيام والثوانى حتى تستوفوا آجالكم الأخيرة، ثم يحين وقت الحساب، وهو الغالب بقدرته وسلطانه، ويرسل ملائكة حفظة كراماً بررة، يحفظونكم ويحسون أعمالكم، حتى إذا حان الأجل تولت ملائكة الموت قبض الأرواح، وهم لا يقصرون فيما أمروا به من الحفظ والقبض، ثم يعودون جميعاً، الأرواح والملائكة إلى ربهم ليتولى أمرهم بالحق، له الحكم وهو أسرع الحاسبين .

\*\*\*

﴿ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَأَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

تغوص الآية في أعماق النفس الإنسانية، وتذكرها أنه عند الخطر في البر والبحر، تنفض عن فطرتها السليمة كل ما تراكم عليها، واصطنعته زيفًا وزورًا، واتجهت لله خالقها الذي تعرفه، ولجأت إليه طالبة النجاة، متضرعة في العلقن وفي السر: إذا أنجيتنا يا رب، سنكون لك من الشاكرين. قل لهم يا محمد: الله ينجيكم من كربكم هذا، ومن كل كرب، ثم تشركون بعد النجاة. وهذا شأن الإنسان الكافر والمشرك وضعيف الإيمان، إن أصابته كارثة فر إلى الله بالدعاء، فإذا ما ذهب البلاء عاد لما كان عليه.

\*\*\*

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُدْخِلَكُمْ فِيكُمْ بِأَسْبَغٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٦٥)

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ مثل الصواعق والأعاصير والحكام والرؤساء الظلمة ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ كالزلازل والخسوف والظوفان والعمامة والأتباع المجرمين ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ أو يجعلكم فرقًا متناحرة ﴿ وَيُدْخِلَكُمْ فِيكُمْ بِأَسْبَغٍ ﴾ يسلط بعضهم على بعض، فيظلمه، ويشتد عليه بالعذاب والقتل ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفَ الْآيَاتِ ﴾ انظر كيف قدرتنا ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ ويرتدعون عن العصيان.

\*\*\*

﴿ وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِوَكِيلٍ ﴾ (٦٦) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

رغم كل هذه الأدلة والآيات، إلا أن قومك يا محمد كذبوا بما جئتهم به، وما جئتهم إلا بالحق، فقل لهم يا محمد ما على إلا البلاغ المبين، ولست موكلًا على ما تفعلون، لكل بشرى وإنذار، وواعد ووعيد أنبأتكم به وقت للتحقق، وسوف تعلمون ذلك.

\*\*\*

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكِّرْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦٩)

أمر الله المسلمين بتجنب المجالس اللاهية واللاغية في آيات الله وشرعه، فإذا ما تحدثوا في أمور أخرى فلا مانع من مجالستهم، أما إذا خدعك الشيطان وحضرت ذلك، فإذا ما تذكرت النهى الإلهي فانصرف عن مجالس الظالمين، حتى لا تتحمل وزر ما يقولون، وفي انسحابك عن تلك المجالس تذكرة لأصحابها لعلهم يتقون الله.

\*\*\*

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسَلَّ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَأَيُؤَخِّدَ مِنْهَا أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٠)

أعرض عن المستهزئين بالدين، وتجنب المشاركة في اللغو والخوض في العبث مع هؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا، والمقابل أن تُذكرَ بالقرآن الجالسين لعلهم يتتبهون ﴿ وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسَلَّ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وذكر الناس حتى لا تُسلمَ نفس إلى الهلاك، أو تُحبس وتُحرم الجنة بسبب أفعالها ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ لن تجد هذه النفس من ينصرها ولا من يشفع لها ﴿ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَأَيُؤَخِّدَ مِنْهَا ﴾ وإن حاولت اقتداء نفسها بكل فداء لا يقبل منها ﴿ أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ فأولئك الذين أخذوا بما فعلوا في حياتهم الدنيا ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ شراب بالغ الحرارة ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٧٢)

قل ومن معك من المؤمنين للمشركين: أندعو أرباباً لا تنفع ولا تضر، ونعود إلى الشرك كما كنا من قبل بعد أن ذقنا حلاوة الإيمان، فنصبح كمن أغوته الشياطين فأصبح وأمسى

ضالاً حائراً، في حين أرسل الله إليه أصحاباً يدعونه إلى الصراط المستقيم . قل لهم يا محمد: إن الإسلام هو طريق الهدى، وقد أمرنا الله بإسلام وجوهنا له وحده لا شريك له، ونقيم الصلاة، ونتقى الله في كل شيء، فإنه وحده الحشر والحساب .

\*\*\*

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٧٣)

هو حقاً الذي خلق السماوات والأرض، ليست الصدفة ولا الطبيعة، فهما مخلوقات من مخلوقاته، وخلق الكون وجعل الحق مكوناً رئيسياً فيه، فكل ما في الكون يعمل وفق نظام بديع محكم متقن، يطيع قوانين الله وسننه، يدعو كل البشر للإيمان بالله الواحد الأحد الله الحق، واتباع الحق مكون أساسي في طبائع البشر، إلا ما أفسده شياطين الإنس والجن فيهم ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فذلك يوم الحساب، ويوم الجزاء على الأعمال، فلا إبليس يستطيع ألا يسجد، ولا آدم يستطيع الأكل من الشجرة، ولا للناس أن يجادلوا ويعصوا، ويكفروا أو يشركوا ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ فيما يخلق بالكاف والنون، وفيما يأمر وينهى، وفيما يخبر، وفيما يعد ويوعد ﴿ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ يوم النفخ في الصور هو يوم البعث والنشور، والصور والنفخ فيه من أمور الغيب، وفي ذلك اليوم، يضع الله الموازين الحق للحساب بعد انقضاء أمانة تكليف البشر على الأرض، وينتهي ملك ملوك الأرض، ويشهد الكون كله ﴿ لَمَنْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ فهو خالق عالم الغيب، وخالق عالم الشهادة ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤)

إن المؤمن حين يرى الكافر في ضلالاته يأسف ويحزن، ويحاول الأخذ بيده إلى طريق الحق، فكيف كان حال إبراهيم (عليه السلام) وهو يرى أباه أزر يتخذ الأصنام آلهة؟ قال لأبيه: ﴿ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

\*\*\*

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ ﴾ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

هذه قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه ، قال محمد الغزالي : [وترك القرآن الكريم هذا الحاضر المعقد، ويعود بالناس قرونًا إلى الوراء، فيذكر قصة إبراهيم مع عبادة الكواكب، وكيف حاول اقتيادهم إلى الله الواحد! .

لقد ترخّص في مخاطبتهم وتنزل إلى عقولهم ، فنظر إلى نجم ساطع - لعله المشتري أو الزهرة - ثم قال : هذا ربي كما تقولون! لكنه غاب بعد ظهور! .

ثم نظر إلى القمر قائلاً: هذا ربي كما تزعمون! لكنه أيضاً اختفى .

ثم نظر إلى الشمس قائلاً: هذا ربي - في زعمكم - هذا أكبر ، لكن الشمس غربت وأظلم الكون .

إن الإله لا يغيب عن ملكوته ، فمن يديره بعده؟ . إن زمام الوجود بين أصابع القدرة ، لو اضطرب قليلاً لهلكت المشارق والمغرب ، بل لغاب كل شيء في ظلمات العدم المحض!! .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٤١] .

وليس يتصور في جانب الإله الحق أنه يأفل ، أو يختفى لحظة أو لحظات ، إنه قيوم تستند ديمومة الوجود إلى وجوده . إنه القائم على كل نفس بما كسبت ، إنه قيم السموات والأرض ومن فيهن . . .

إن أسلوب إبراهيم (عليه السلام) في التعريف بالله الواحد نقله القرآن الكريم إلى عرب الجاهلية مختوماً بهذه النتيجة ﴿ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٩) .

فهل يعي ذلك المشركون الذين يخاطبهم خاتم الأنبياء بالمنطق نفسه؟ إنه منطوق معقول منصف! .

وتفاوت درجات الدعاة إلى الله بمدى براعتهم في التعريف به واقتياد الناس إليه ، ولذلك يقول جل شأنه ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٨٢) .

وقول محمد الغزالي يشبه قول كل من الزمخشري ، والرازي ، والقرطبي ، والألوسي والشعراوي ، بينما قال الطبري : [إن الصواب من القول في ذلك الإقرار بخير الله تعالى] أي بدون تأويل للخبر في قول إبراهيم (ﷺ) عن الكواكب .

\*\*\*

﴿ **وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ (٨٠) **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (٨١)

جادلوا إبراهيم (ﷺ) في الله الواحد الأحد ، فقال لهم : أنتم الذين تحاجوني لأترك الحق وأتبع الباطل بعد أن هداني الله لإقامة الحججة عليكم؟! ولا أخاف من آلهتكم التي أعلم أنها لا تضر ولا تنفع ﴿ **إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا** ﴾ وهذا استثناء من النوع المنقطع ، يكون المستثنى فيه خارجاً في الأصل عن المستثنى منه ، وفي العبارة تقديم المشيئة الربانية على كل شيء ، فلن يُصيبننا إلا ما كتب الله لنا ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، أفلا تتذكرون؟ وليس من المنطق والعقل أن أخاف مما جعلتموها آلهة دون أن ينزل الله بها حجة ، فأىُّ منا أولى وأحق بالاطمئنان والأمن الرباني ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾

\*\*\*

﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ (٨٢) **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٨٣)

الذين يستحقون أن يستمتعوا بالأمن الرباني هم الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولم يخلطوا هذا الإيمان بالشرك بالله . روى أحمد عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ﴾ شق ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله ، أين لا يظلم نفسه؟ قال (ﷺ) : «إنه ليس هذا الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿ **يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان : ١٣] . هذه

الحجج النافذة علمناها لإبراهيم ليقنع بها قومه ، وإن الله بحكمته وعلمه يرفع إلى الدرجات العلى مَنْ يستحق .

\*\*\*

﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ﴾

وبعد أن اعتزل إبراهيم (ﷺ) قومه - كما جاء في ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) ﴾ [مريم] - وهبه الله إسحاق ولدًا ويعقوب حفيدًا لتقر بهما عينه ، وهدينا كلا منهما إلى النبوة ، وهدينا نوحًا من قبل ، ومن ذرية إبراهيم جاء أنبياء الله داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، عليهم جميعًا الصلاة والسلام ، كذلك نكافى المحسنين ، وكذلك جاء زكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، وكلُّ منهم من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوط ، عليهم جميعًا الصلاة والسلام ، وكلُّ منهم فضلنا على العالمين ؛ وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واحترناهم واصطفيناهم ﴿ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

\*\*\*

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَمَنْ يَكْفُرْ بِهَا هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَسَا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) ﴾

وبعد كل هذا الاصطفاء للأنبياء ، لو أنهم أشركوا لبطل عملهم ، فما بالنا بغير الأنبياء؟ أولئك الأنبياء آتاهم الله الكتب السماوية والحكمة والنبوة ، فإن يكفر برسالتك مشركو قريش وأهل الكتاب فقد عهدنا بها إلى قوم يحملونها بحقها . وأولئك الأنبياء الذين هداهم الله ، يأمر الله رسوله (ﷺ) أن ينهج منهاجهم في حمل الرسالة بحقها ، وقل يا محمد لكل من تبلغهم رسالتك : لا أسألكم أجرًا على السماع لى واتباعى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيُبَدِّلُونَهَا تَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١)

بلغ إصرار أحبار اليهود على المكابرة والجحود، وكرهيتهم أن ينزل الله كتابه على محمد (ﷺ)، ويكلفه وقومه من العرب حمل الرسالة الخاتمة، أن أنكروا بالمرة أن الله أنزل على بشر كتاباً من قبل، فقالوا: ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ ﴾ فقل لهم ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ ذكرهم يا محمد بالتوراة ﴿ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيُبَدِّلُونَهَا تَخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ تجعلونه أوراقاً مكتوبة مفرقة تظهرون منها ما تشاءون، وتخفون ما تشاءون ﴿ وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ وتعلمتم منها، وعلى لسان محمد ما لم تعلموه ولا علمه آبائكم من قبل ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ قل الله أنزل التوراة، ثم اتركهم في ضلالاتهم وفيما يتحدثون به عابثين.

\*\*\*

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٩٢)

وهذا الكتاب الذي أنزلناه عليك يا محمد، أنزلناه مباركاً للناس أجمعين، مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية، لتنذر أهل مكة ومن حولها. ولا يؤمن بهذا القرآن إلا الذين يؤمنون بالآخرة إيمان الفطرة والمدارك السليمة، ويحرصون على إقامة الصلاة بإتمام أركانها والانتهاه عما نهت عنه، وبتذكر الله بها.

\*\*\*

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٩٣)

لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فزيف كتبه وغير رسالات أنبيائه، أو ادعى النبوة، أو قال متكبراً متحدياً ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ من كتاب وحكمة، ولو ترى يا محمد

الظالمين عند موتهم والملائكة تخبرهم بأنه آن أوان مفارقة النفوس للأجساد، فهل تستطيعون إنقاذ أنفسكم من غمرات الموت؟ واليوم تنتهى آجالكم التى قدرها الله لكم فى الحياة الدنيا، وتبدأون عذاب الهوان بكذبكم واستكباركم على آيات الله .

\*\*\*

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

وها أنتم قد أتيتم إلينا فرداً فرداً، كما خلقناكم فرداً فرداً، وتركتم ما استخلفناكم عليه من مال وسلطان ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾ ذلك تهكم بالمشركين؛ فقد حضروا للحساب بغير ألتهم التى أشركوها مع الله كشفعاء، لقد تقطعت بينكم وبينهم العلاقات والصلات ﴿ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَىٰ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىٰ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

تعود الآيات إلى بيان القدرة الإلهية ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَىٰ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىٰ ﴾ يشق الحب فيخرج منه النبات، ويشق النوى فيخرج منه الشجر والنخل، ويخرج الزرع من الأرض الميتة بنزول الأمطار، ويميت الزرع والنبات بمنع الماء أو بالآفات أو بغير ذلك . وقال البعض : يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ هذا هو ربكم الخالق القدير، فكيف يصرفكم عن توحيدى أى صارف ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ شق ظلمة الليل ليظهر ضوء الصباح ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ يسكن فيه الخلق إلى النوم ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ تحسبون بهما أوقات اليوم والأسبوع والشهر والسنة، ويمثلان مرجعاً لحساباتكم ومعاملاتكم وأعمالكم ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ هكذا قدر العزيز الغالب على أمره بعلمه وحكمته ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي

ظَلَّمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿﴾ قال ابن كثير: [من قديم الأزل، وحتى اليوم، يهتدى الناس بمواقع النجوم وحركتها، في سفرهم براً وبحراً] ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٩) ﴿

قال سيد قطب: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٩٨) ﴿ إنها اللمسة المباشرة في هذه المرة . . اللمسة في ذات النفس البشرية . النفس البشرية الواحدة الموحدة الكنه والحقيقة في الذكر والأنثى (١) . تبدأ الحياة فيها خطوتها الأولى للتكاثر بالخلية الملقحة . نفس هي مستودع لهذه الخلية في صلب الرجل ، ونفس هي مستقر لها في رحم الأنثى . . ثم تأخذ الحياة في النمو والانتشار . فإذا أجناس وألوان ولغات ؛ وإذا شعوب وقبائل ؛ وإذا النماذج التي لا تحصى ، والأغماط التي ما تزال تتنوع ما دامت الحياة .

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ .

فالفقه هنا ضروري لإدراك صنع الله في هذه النفس الواحدة، التي تنبثق منها النماذج والأغماط . ولإدراك الموافقات العجيبة الكامنة وراء اتخاذ التلاقح وسيلة للإكثار وتوفير الأعداد المناسبة دائماً من الذكور والإناث - في عالم الإنسان - لتتم عملية التزاوج التي قدر الله أن تكون هي وسيلة الإخصاب والإكثار . ووسيلة تنشئة الأطفال في ظروف تحفظ «إنسانيتهم» ، وتجعلهم أكفاء للحياة «الإنسانية» .

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ تعددت أقوال المفسرين ، فمنهم من قال : المستقر هو أرحام النساء ، والمستودع هو أصلاب الرجال ، ومنهم من قال : المستقر هو الأرض للأحياء ، والمستودع هو باطنها للأموات ، ومنهم من قال : المستقر هو من دخل الدنيا واستقر فيها ،

(١) لم أجد - فيما قرأت - أثراً إسلامياً معتمداً لقصة خلق حواء من آدم ، وهو الذي يفسر به أحياناً قوله تعالى ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ، والظاهر لى أنها نفس واحدة لاتحاد الذكر والأنثى في الكنه والحقيقة .

والمستودع هو الذى لم يولد بعد . قد بينا الآيات لقوم يفهمون . وهو الذى أنزل الأمطار من السماء ، فأحيا بها الأرض بعد موتها ، وأخرجت مختلف أنواع النبات ، فمنها السنابل التى تتركب فيها الحبوب مثل الحنطة والشعير وغيرها ، ومنها النخل ، و ﴿ طَلْعَهَا ﴾ هو أول ما يظهر من ثمر النخل كالكيزان ، و ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ هى العراجين ، وهى للتمر بمثابة العنقود للعنب ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ متدلية ، وأخرجت جنات من الأعناب والزيتون والرمان ، بعضها يشبه بعضاً فى الشكل واللون والطعم والرائحة ، وبعضها مختلف رغم اشتراكها فى الماء والتربة والبذور . انظروا أيها المؤمنون إلى ثمره و ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ نضجه ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ﴾

وبعد كل هذه الآيات البينات التى يمرون عليها ، أشرك بعض الناس الجن فى عبادة الله ، وبعضهم اختلقوا لله بنين ، كما قالت اليهود : عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ ، وقالت النصارى : المسيحُ ابنُ الله ، وقال بعض العرب : الملائكة بنات الله ، تنزه رب العالمين وتقدس عما يدعون ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ حاشا لله الذى أبدع السماوات والأرض بلا مثال سابق ، كيف يدعون له الولد ، وهو الذى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ .

\*\*\*

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾

الله وحده هو المستحق للعبادة ، وهو كفيل كل مخلوقاته ، لم يخلق العالم ويتركه لأرباب أخرى ، سواء كانوا بشراً أو ملائكة ، أو ثائناً وأصناماً ، أو عقائد وأهواء . أبصارنا المحدودة لا يمكنها أن تراه ، فى الوقت الذى يرى ويبصر جميع المخلوقات فهو خالقها ، وخالق أبصارها وإبصارها ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ ومن لطفه أنه لا يأمر عباده بما هو فوق طاقتهم ، وينعم عليهم بما هو فوق استحقاقهم ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بخفايا الصدور ودقائق الأمور .

\*\*\*

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾  
 ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنَبِيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

جاءكم فى القرآن، وفى كل ما حولكم من الآيات ﴿بَصَائِرُ﴾ بينات من الله تعالى ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ فمن اهتدى وخشع فلنفسه ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ ومن استعصى بعد كل هذه الآيات فعلى نفسه، ويقول لهم محمد (ﷺ): ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ليس على إجباركم على الإيمان، ولكنى مبلغ عن ربي ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ﴾ كذلك ننوع لكم الآيات، ومع هذا ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ يقولون لمحمد (ﷺ): لقد تعلمت هذا الكلام على أيدى آخرين، وليس هو وحى من عند الله، فيقول الحق سبحانه وتعالى: إنما نبين هذه الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

\*\*\*

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

يا محمد لا تحزن، والتزم وامثل لوحى ربك الواحد الأحد ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ فقد بلغتهم الرسالة وجحدوها، ولو شاء الله لأجبرهم على التوحيد ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ إن أنت إلا نذير وبشير، ولست قيماً عليهم، ولا مسئولاً عنهم.

\*\*\*

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٠٨﴾

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذه من القواعد الأساسية فى الشرع الإسلامى، ليس على المسلمين ولا الدعاء سب الشرائع الأخرى وألتهتها، إنما عليهم البيان فقط، وبالحدوة الحسنة؛ لأنهم بالمثل سيسبون إلهكم كما سيبتم ألتهتم ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أى جهلاً بحقيقة الله؛ واعلموا أنكم جميعاً عائدون إلى ربكم، فيخبركم بحقيقة ما فعلتموه فى الدنيا.

\*\*\*

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٦) وَنَقَلِبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

وعاد الكفار مرة بعد مرة يطلبون معجزة خاصة حتى يؤمنوا، وأقسموا بأغلظ الأيمانات ﴿ لَنِ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ ولكن من يعطل فطرته وعقله وبقيه مداركه من سمع وأبصار وغيرها، لا تجدى معه الآيات التي يطلبونها، فقل لهم يا محمد: ﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وليست عندي ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وكيف تعرفون أنها لو جاءت لن تنكروا لها كما حدث مع الأقوام الجاحدين السابقين؟ ﴿ وَنَقَلِبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وأنه إذا جاءتهم الآيات التي طلبوها، فبسبب استكبارهم، لن يؤمنوا بها، كما لم يؤمنوا أول مرة، وسيستمروا في طغيانهم يتحiron. وأولئك هم الذين ذكرتهم الآية ١٤٦ في سورة الأعراف.

\*\*\*

obbeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الجزء الثامن

## سورة الأنعام

من الآية ١١١ حتى نهايتها الآية ١٦٥

## وسورة الأعراف

من بدايتها حتى الآية ٨٧

obbeikandi.com

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١١١)

حفل القرآن بقتلهم رسلكم بالمعجزات الخارقة، ولكنهم جحدوها وجحدوا رسلكم؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا ﴾ لو أننا أنزلنا إليهم الملائكة لهدايتهم، وبعثنا لهم الموتى يكلمونهم، وجمعنا لهم كل شيء قبلاً أى عياناً بيانياً ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ - وهم الذين تصدق عليهم آية ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦] - ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ما آمنوا إلا طبقاً لمشيئة الله، وهى أن يؤمنوا باختيارهم، وليس بإجبارهم ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ولكن أكثر الجاحدين يجهلون تلك الحقيقة. وجاء فى سورة يونس ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (٩٩) فحكمة الله هى فى أن يؤمن الناس باختيارهم، وليس بالإكراه، أو بفرض الله عليهم ذلك.

\*\*\*

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ (١١٣)

وكما فعل قومك معك من تكبر وجحود وعناد، جعلنا من قبل لكل نبي أعداء من شياطين الجن، ومن شياطين الإنس، يؤيد بعضهم البعض بالحجج والأقوال الزائفة، غروراً من أنفسهم، وسعيًا وراء متع الدنيا الزائلة، ليلبواكم الله بهم ويلبواكم بكم ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ كل ذلك الفعل بتقدير الله، ولو أراد الله ما فعلوه، ولكن ليلبواكم وينقيكم ويقويكم، ويرفعكم الدرجات ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ فاتركهم غارقين فى افتراءهم ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ (١١٣) ستصغى القلوب الجاحدة، التى تنكرت لشهادتها الأولى وعاندت فطرتها، وعطل أصحابها مداركهم السليمة

من عقول وأسماع وأبصار وغيرها، ستنجذب إلى زخرف القول تلك القلوب العاصية التي ترفض الآخرة، وترضى بالدنيا ومتاعها، فتعمل في سبيلها كل ما في وسعها .

\*\*\*

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَأُمْبَدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) ﴾

قل يا محمد للمشركين: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتغَى حَكْمًا ﴾ هل أطلب حكمًا بيني وبينكم غير الله؟ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ وهو الذى أنزل القرآن فارقًا بين الحق والضلال، مفصلاً للصراف المستقيم ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ الذين عرفناهم الكتاب من اليهود والنصارى يعلمون علم اليقين أن القرآن أنزله الله بالحق ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ فلا تشك، والكلام هنا موجه لأمة محمد (ﷺ)، فهو لم يشك ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ فيما أخبر، وفيما وعد وأوعد، وعدلاً فى شرعه وحكمه ﴿ لَأُمْبَدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ لا أحد يملك أن يبدل كلام الله فيما أراه من عقيدة وشريعة للبشر، وفى خلقه للكون وما فيه، وهو سبحانه سميع لكل ما يقال، عليم بكل ما يحدث فى الكون ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [المك: ١٤].

\*\*\*

﴿ وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مِن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧) ﴾

اعلم يا محمد، وأمتك من بعدك، أن الانقياد لأكثر الناس؛ فى أمور دينك سيضلك عن سبيل الله؛ فهم ما يتبعون إلا الظن والأوهام، وربك أعلم بالضالين والمهتدين .

\*\*\*

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) ﴾

تبيح هذه الآية للمؤمنين أكل كل ما ذكر اسم الله عليه عند ذبحه، فما يمنعكم من الأكل بعدما ذكر اسم الله على الذبيحة؟ ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ وقد حدد الله المحرم

عليكم أكله ، كما فى سورة المائدة ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُكْفَرُ بِهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَحْسِبْهُ اللَّهُ غَافِلًا غَافِلًا وَمَا أُضْطَرَّتُمْ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ دِينِكُمْ فَكُفِّرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَرَضُوا بِأَلْفِ عَسْفِرٍ مِنْ دِينِكُمْ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَحْسِبْهُ اللَّهُ غَافِلًا غَافِلًا ﴿ ١٢٠ ﴾ مع استثناء ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرَّتُمْ إِلَيْهِ ﴾ إلا أن تدعوكم الضرورة إلى أكل المحرم ، أما الذين يحرمون ما أحل الله ويحللون ما حرم الله بأهوائهم من غير دليل شرعى ، فيعتدون ويظلمون ، والله ﴿ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَذُرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿ ١٢١ ﴾

اتركوا فعل الآثام كلها ، الظاهر منها والباطن ، ما يخالف الشرع نصاً وروحاً ، ومن يقترفون الآثام سينالهم العقاب الذى يستحقونه ، ولا تأكلوا أى ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها عند ذبحها ، ومن يفعل ذلك فقد خرج عن طاعة الله ، وإن الشياطين ليؤسوسون إلى أوليائهم ليجادلوكم عندما تمتنعون عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله ، ويحاولوا إقناعكم بشتى السبل ، فيقولوا على سبيل المثال : كيف لا تأكلون ما أماته الله ، أى الميتة ، وتأكلون مما تمتنون أنتم ، أى ما تذبحون؟ فلا تطيعوهم ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فقد أشركتم الشياطين فى التحليل والتحريم .

\*\*\*

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ ضَالًّا فَاحْيِنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٢) ﴿

أو من كان ضالاً فأحييناه بنور هداية الإسلام يرشده فى الحياة بين الناس ، يمكن أن نساويه بمن يتخبط فى ظلمات الشرك والجهالة ، ولا يمكنه الخروج منها؟ ، بمثل هذا التزييف يرى الكافرون عملهم حسناً ونجاحاً .

\*\*\*

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلَ اللَّهِ أَعْلَمَ اللَّهُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٢٤)

لا تحزن يا محمد إذا رأيت أكابر قريش وبلاد العرب يمارسون المكر والخداع، ويكيدون ضد الإسلام والمسلمين ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ وكلما رأوا آية من آيات الله، زاد تكبرهم وجحودهم وعنادهم، وقالوا فى تحدٍّ ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلَ اللَّهِ ﴾ لن نؤمن حتى ينزل علينا الوحي كما نزل على الرسل، وفى تفسير آخر: لن نؤمن حتى نرى معجزات مثل التى أتى بها موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - والإجابة القرآنية تؤيد التفسير الأول، وإن كان لقائلى التفسير الثانى أن يردوا على ذلك بأن ﴿ حَيْثُ ﴾ قد تعنى الرسول وقومه، وماذا هم فاعلون. فقل لهم يا محمد ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ هو الذى يختار بمشيئته وحكمته من هو الجدير بإبلاغ الناس وحى السماء، وعلى أى قوم، وسينال الذين مكروا هواناً عند الله، وعذابٌ شديدٌ.

\*\*\*

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٥)

هناك آيات عديدة تبين أن من يسعى لله والحق والخير يهديه الله، ومن يكذب فطرته، ويعطل الآليات التى منحها الله له ليسعى بها لله والحق والخير، يضلله الله، منها ﴿ إِنْ سَأَلْتُمْ لَشَيْئًا ﴾ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ [الليل]، والآية الحالية تعنى أن من يرد الله، بحكمته وعدله، ورحمته وفضله، وبعلمه الأزلى، أن يهديه يجعل صدره واسعاً لتقبل الإسلام، ومن يرد أن يضلله، يجعل صدره ضيقاً شديداً الضيق، كأنه يصعد فى السماء. قال زغلول النجار: [يمتد الجزء الغازى فى الغلاف الغازى للأرض إلى ارتفاع لا يتعدى الثلاثة كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر، (وهو) نطاق المواءمة البيئية الكاملة لحياة الإنسان التى يستطيع العيش فيها بدون مخاطر صحية، ويمتد نطاق شبه المواءمة للحياة الأرضية من ارتفاع ثلاثة كيلو مترات فوق سطح البحر إلى ارتفاع ستة عشر كيلو متراً، ويتميز بنقص تدريجى فى نسبة الأكسجين وتناقص الضغط بمعدلات ملحوظة، ويمكن

للإنسان العيش فى الأجزاء السفلى من هذا النطاق بصعوبة فائقة لصعوبة التنفس والخلل الذى يعترى بعض وظائف أعضاء جسده نتيجة لانخفاض الضغط الجوى . وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين ، وإن بدأ يتحسسها منذ نهاية القرن الثامن عشر]. و﴿الرَّحْسَ﴾ كلمة جامعة لكل ما لا خير فيه .

\*\*\*

﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (١٢٧)

سنة الله فى الكون هى أن من أعطى من ماله ومن عمله لإخوانه من البشر ، واتقى الله فى عمله ، وصدق بأن إحسان العمل فى الدنيا يجلب إحسان الجزاء فى الآخرة ؛ فيهديه الله ويشرح صدره للإسلام ، أما من بخل بماله ويعمله عن البشر ، واستغنى عن فعل الخير وطاعة الله ، وكذَّبَ بأن إحسان العمل فى الدنيا يجلب إحسان الجزاء فى الآخرة ، فسييسره الله للعسرى ، تلك الآيات فصلها الله لقوم يذكرون شهادتهم الأولى فى فطرتهم السليمة ، ويذكرون ما قصه القرآن عليهم ، فجزاؤهم فى الآخرة الجنة ، والله - سبحانه وتعالى - وليهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُورِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ (١٢٩)

ويوم يحشر الله الإنسان والجن ، ويحاسب رب العالمين جماعة الجن ﴿ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ أضللتكم كثيراً من الإنسان ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ الذين أطاعوهم ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ تبادلنا المنافع ، والمتع الدنيوية الزائلة والزائفة ، ثم ﴿ بَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَلْتَنَا لَنَا ﴾ انتهى الأجل بالموت الذى فرضته علينا ، قال لهم ربهم ﴿ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ النار مستقركم ، خالدين فيها إلا ما شاء الله . ظاهر الآية استثناء من الخلود فى النار ، طبقاً للمشيئة والحكمة الإلهية ، ولكن كثيراً من المفسرين أولوها بعكس ظاهرها ، فعلى سبيل المثال ، قال الماترىدى : [قال الحسن : وقد شاء الله أن يخلدهم فى النار ، وقال غيره : الاستثناء من وقت البعث إلى وقت الخلود ، وقيل : الاستثناء للمؤمنين] ، بينما نقل

الطبرى والشوكانى وغيرهما عن ابن عباس قوله: [لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله فى خلقه، لا ينزلهم جنة ولا ناراً]، وقال المراعى: [النار منزلكم وموضع إقامتكم إقامة خلود إلا ما يشاء الله مما يخالف ذلك، فكل شىء بمشيئته واختياره، فإن شاء أن يرفعه كله أو بعضه عنكم أو عن بعضكم فعل، فله السلطان الكامل والنفوذ الأعلى، ولكن هل يشاء ذلك؟ هذا مما يتعلق بعلمه وحده، ولا يعلمه غيره إلا بإعلامه]، وقال سيد قطب: [.. فالنار مثابة ومأوى، والمثوى للإقامة، وهى إقامة الدوام ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ لتبقى صورة المشيئة الطليقة هى المسيطرة على التصور الاعتقادى. فطلاقة المشيئة الإلهية قاعدة من قواعد هذا التصور، والمشيئة لا تنحبس ولا تتقيد] ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وهكذا نجعل بعض الظالمين أولياء على ظالمين آخرين جزاء أفعالهم.

\*\*\*

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ (١٣٢) ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣٣) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٤)﴾

يقول تعالى للإنس والجن فى أحد مشاهد يوم القيامة: ألم أبعث لكم رسلاً يذكرن لكم آيات الله ويحذرونكم من حساب يوم القيامة؟ فيقول الجن والإنس: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ أقررنا بما ارتكبنا ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ خدعتهم الدنيا بزيتها ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ وأقروا واعترفوا أنهم كفروا ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ إن الله الحكم العدل لا يظلم القرى بإهلاكها وأهلها لا يعرفون الحق ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ بل يعطى كل ذى حق حقه من الود والكرامة، أو من الذل والإهانة، حسب أعمالهم التى لا تغيب عن الله.

\*\*\*

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٢) إِنْ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)﴾

وربُّك الغنى عن خلقه وعن عبادتهم، ذو رحمة واسعة، ومن رحمته أن أرسل الرسل لهداية الخلق، ثم هو يمهل العصاة ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ فهو قادر على إهلاككم، كما هو

قادر على أن يأتي بخلق آخر يستخلفه في الأرض كيف يشاء مثلما خلقكم من ذرية آخرين سبقوكم ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ يوم البعث والحساب قادم لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ وما أنتم بمعجزين الله عن أن يبعثكم، ويحاسبكم.

\*\*\*

﴿قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

قل يا محمد للكفار والمشركين: اعملوا في سبيل تمكنكم في الأرض، وتسلبكم على بعضكم البعض، وإنى عامل في سبيل الله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من ستكون عاقبته دار السلام، وكيف ستكون عاقبة الظالمين.

\*\*\*

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

وجعلوا لله مما خلق من الزرع، والإبل والبقر والضأن والمعز جزءاً زعموا أنه لله، فينفقون منه، وجزءاً آخر زعموا أنه لمن أشركوهم بالله، ينفقونه في صناعة وخدمة الأوثان والأصنام وسدنتها، فلا ينفقون من نصيب آلهتهم في وجوه البر على المحتاجين، ثم هم ينفقون من نصيب الله على آلهتهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فهذا الانحراف الرئيسي في الفكر والعمل، يهوى بهم إلى الانحراف الكامل في العقيدة، ومن ثم الشريعة في كل مسالك حياتهم. وفي الآية عبرة متجددة لكل زمان ومكان، يسيء فيه الناس الحكم، فيجبرون على شرع الله حسب أهوائهم وانحرافاتهم المتجددة، تحت ادعاءات ومزاعم متجددة.

\*\*\*

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدَّهُمْ وَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمُ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذُرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

وكذلك زين لكثير من المشركين، من شياطين الإنس والجن، لهم قتل أولادهم، ليهلكوهم، وليحرفوهم عن الملة الإبراهيمية الصحيحة، ولو شاء الله لمنعهم من ذلك جبراً

وإكراهاً، ولكن ليس ذلك المنهج الرباني في حياة الخلافة والتكليف، فتركهم وما هم فيه من الكذب والافتراء إلى الله تعالى .

\*\*\*

﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجْرًا لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مِنْ نَشَاءِ بَرِّعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

هذه الآية وما بعدها من آيات، تجعل المرء يندهش من ولوع بعض الناس بالتحريم والتحليل وفق أهوائهم وبدون حجة، بل وافتراءهم على الله الكذب، والاختلاق بغير أساس؛ لذا نرى المشركين يقولون افتراءً على الله ﴿ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجْرًا ﴾ هذه المواشى والزرور محجورة علينا، أى محرمة علينا ﴿ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مِنْ نَشَاءِ بَرِّعْمِهِمْ ﴾ يزعمون من غير حجة أن هذه الأنعام والحرت محرمة إلا على من زعموا أن الله شاء أن يأكلوا منها، وقال أكثر المفسرين: إلا على من شاءوا هم أن يأكلوا منها ﴿ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ حرم ركوبها - وقد فصلت ذلك الآية ١٠٣ من سورة المائدة - ﴿ وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ ﴾ يذكرون عليها أسماء شركائهم فى الله افتراءً على الله، وسيحاسبهم الله على ما كانوا يفترون .

\*\*\*

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحْرَمٌ عَلَيْنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثَّةً فَهَمَّ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾

قالوا ما فى بطون هذه الأنعام السالف ذكرها - كالبحائر والسواحب - حلال للرجال حرام على النساء، وما وُكِد منها ميتاً، يشترك فى أكله الرجال والنساء . سيجزيهم الله عن كذبهم عليه فى التحليل والتحريم، ولن يفلح من يفعل ذلك، كما بينت آية سورة النحل ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴾ [١١٦].

\*\*\*

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

لقد خسر الذين قتلوا أولادهم اتباعاً للشيطان ﴿وَحَرِّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ وما فعلوا ذلك إلا لضلالهم عن الحق وانحرافهم عن الهدى . تناولت الآية من يقتلون أولادهم ، كما تناولتهم الآية السابقة ١٣٧ ، ويبدو أن السابقة تختص بمن يقتل أولاده تقريباً للآلهة ، خاصة أنها استخدمت لفظ ﴿زَيْن﴾ ، وهو لا يوحى بالخوف من الفقر أو العار ، وعلى هذا يمكن القول بأن الآية الحالية تختص بمن يفعل ذلك خوفاً من الفقر والعار ، والله أعلم .

\*\*\*

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾

الله أنشأ الزرع ، وعلم الناس كيف يبذرون ويسقون ويحصدون ليأكلوا من ثمره طبقاً للنظام الإلهي ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ من العنب وغيره مما يحتاج عريشاً يحمل عليه ، كالعبدان والسقف ، وما لا يحتاج لعريش ، وتحمله سيقانه ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ النخل والزرع مختلف في الطعم ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا﴾ في النوع ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في الطعم ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ حلال لكم أكل الحرث ، وليس محرماً ، كما سبق تحريم البعض على أنفسهم بعض الحرث ، على أن تأتوا الزكاة المفروضة وقت الحصاد ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في الأكل .

\*\*\*

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)﴾

وخلقنا لكم من الأنعام ما يحملكم ويحمل متاعكم ، وتتخذون أصوافها وأوبارها وأشعارها فراشاً وغطاءً لكم ، فتنعمون بما أحل الله لكم ، ولا تتبعوا الشيطان وأعوانه في التحريم والتحليل ؛ فالشيطان عدوكم الواضح .

\*\*\*

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُتُمَ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ

حَرَمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ  
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾

خلق الله من كل نوع من الأنعام ذكراً وأنثى، فهي ثمانية أزواج، خلق من الضأن زوجين، ومن المعز زوجين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، قل لهم يا محمد: ما علة التحريم؟ وإذا كانت هناك علة في الخلق، فكيف تأخذون بها في حالات وتتركونها في حالات اعتباراً وتحكماً؟ ومن أين جئتم بها؟ هل لديكم كتاب بذلك؟ أم قول نبي أو رسول؟ والاستفهام استنكاري ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ أكنتم شاهدين حين وجه إليكم الله هذا التحريم؟ أم هو محض افتراء وظلم لإضلال الناس ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والله لا يهدي الظالمين.

وقال الماتريدي: [فيه دلالة أن الحكم إذا وجب لعلته، فذلك الحكم واجب ما دامت العلة قائمة موجودة].

\*\*\*

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

قل لهم يا محمد: لا أجد فيما أوحى إلي طعاماً محرماً ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ لم يذبح ذبحاً شرعياً ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ أو دمًا سائلاً ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ فهو قدرٌ خبيثٌ ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ فسرته الآية بأنه ما ﴿أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذبح ليقدم قرابين للآلهة، أو ذبح باسمها ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فمن اضطر غير معتد في المجاعات أو الحروب أو أى ظروف اضطرارية أخرى، فلا حرج عليه ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال الفقهاء: الضرورات تقدر بقدرها، أى يقدرها كل من اضطر إليها بقدرها، لا يزيد ولا ينقص.

\*\*\*

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾  
﴿فَإِنَّ كَذِبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

حرمتنا على اليهود أكل لحم وشحم كل ما له ظفر من دابة أو طائر، كالإبل والنعام والإوز والبط ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ وأبيح لهم لحمها ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ إلا الشحوم العالقة بالظهر أو التي فى الأمعاء والشحوم العالقة بها أو التي اختلطت بعظم، وهذا التحريم عقاب لهم على مواقفهم الظالمة، وردع لنفوسهم الجاحدة ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ والله - تعالى - صادق فيما يقصه عليك، وفى وعده ووعيده ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رُبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ فما مناسبة ذكر رحمة الله الواسعة بعد تكذيب اليهود للرسول (ﷺ)؟ هل المقصود تنبيههم أن رحمة الله أوسع من أن يُقصر رسله وكتبه على بنى إسرائيل، الذين قصتهم طوال الكتاب المقدس قصة قوم مصرين على العصيان والكفر وقتل الأنبياء؟ أم المقصود أن رحمة الله تمهلهم فى تكذيبهم وكفرهم عسى أن يؤمنوا قبل إنزال العقاب بهم؟ لأنه إذا حان وقت العقاب فلن يرده أحد عنهم! أم أن المقصود المعنيان معاً؟ الله أعلم.

\*\*\*

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١٤٨)

إذا ما ضاقت الحجة على المشركين، قالوا: إن الإشراك مكتوبٌ علينا فلا ذنب لنا، ولو شاء الله لعبدناه نحن وأبائنا بلا شريك، وما حرمتنا ما أحل الله ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كذلك كذبت الأمم السابقة ﴿ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ حتى ذاقوا عذاب الخزى، فقل لهم يا محمد: ﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ هل عندكم علم يقينى فتطلعونا عليه ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ إن أنتم إلا تخمنون وتكذبون على الله.

\*\*\*

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩)

قال الرازى: [الله سبحانه وتعالى] أعطاكم عقولاً كاملة، وأفهاماً وافية، وأذاناً سامعة، وعيوناً باصرة، وأقدركم على الخير والشر، فإن شئتم ذهبتم إلى عمل الخيرات، وإن شئتم ذهبتم إلى عمل المعاصى والمنكرات، وإذا كان الأمر كذلك؛ كان ادعاؤكم أنكم عاجزون عن

الإيمان باطلاً، وليس لكم على الله حجة بالغة، بل لله الحجة البالغة عليكم]، وقال المراعى : [ولو شاء الله أن يهديكم بغير هذه الطريقة التى أقام أمر البشر عليها، وهى التعليم والإرشاد بطريق النظر والاستدلال - لهداكم أجمعين - فجعلكم تؤمنون بالفطرة كالملائكة المفطورين على الحق والخير].

\*\*\*

﴿ قُلْ هَلْ مَسَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٠)

قل لهم يا محمد: هاتوا شهودكم من الذين حرموا ما أحل الله، فإن حضروا وشهدوا على هذا التحريم كذباً وزوراً ﴿ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ فلا تشهد مع الذين يقولون على الله الكذب، ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا، والذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، وهم ﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يسوون به غيره فى العبادة.

\*\*\*

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣)

ويدلاً من أن يشغل الإنسان نفسه بالافتراء على الله فيحرم ويحلل بغير الحق، ليته يتبع ما أحله الله حقاً وما حرمه حقاً ليكون من المتقين؛ لذا أمر الله رسوله أن يذكر خمسة محرمات، وخمسة أعمال يجب القيام بها والحرص عليها، أما المحرمات:

الشرك بالله - قتل الأبناء خشية الفقر؛ لأن الله وحده هو الرازق للأبناء والآباء - اقتراف الفواحش، أى الكبائر، ما كان سراً وجهراً - ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ - ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ولا تتصرفوا فى مال اليتيم إلا بأحسن صورة، كأن تنموه فى تجارة أو ما شابه ذلك حتى يبلغ سن الرشد.

أما الأعمال الخمسة ، فهي :

﴿ وَبِالنَّوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ - ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ إذا تاجرتم مع الناس فاحرصوا على العدل دون زيادة أو نقصان ، وهذه الآية رمز للعدل مع الناس ، ليس في التجارة فقط ، ولكن في كل المعاملات الإنسانية ، بينها الحديث الفذ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »<sup>(١)</sup> رواه البخارى ومسلم - ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ عليكم بالعدل فى الشهادة ، وفى عموم الأقوال ، ولو كانت على قريب - ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ وعهد الله الأول عندما كنتم فى ظهور آباءكم ، وأشهدكم بأنه ربكم وخالقكم ، ومن هنا ينبع التزام الإنسان بكل عهوده ومواريقه على الأرض مع البشر - التزام الصراط المستقيم الذى حدده للبشر للفوز بالدنيا والآخرة . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خط لنا رسول الله خطاً ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : « هذه سبل ، على رأس كل واحد منها شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ رواه أحمد .

\*\*\*

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٤) وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (١٥٥) .

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ قال الرازى : [ فيه وجوه ، الأول : ثم إنى أخبركم بعد تعديد المحرمات وغيرها من الأحكام ، أنا آتينا موسى الكتاب ، والثانى : أن التكليف التسعة المذكورة ( لم يعد الرازى اتباع الصراط المستقيم ) فى الآية المتقدمة لا يجوز اختلافها بحسب اختلاف الشرائع ، بل هى أحكام واجبة الثبوت من أول زمان التكليف إلى قيام القيامة ، الثالث : أن فيه حذفاً تقديره : ثم قل يا محمد إنا آتينا موسى ، فتقديره : اتل ما أوحى إليك ، ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى ] ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ إتماماً للنعمة على من كان محسناً تقياً ، أى على كل المحسنين فى ذلك الزمان ، وفى مقدمتهم موسى رضي الله عنه ، وقال المراغى : [ وقد يكون المعنى : آتينا الكتاب تماماً كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه من الشرائع ] ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاجه قومه ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ هداية لهم ورحمة بهم ﴿ لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ لعلهم يؤمنون بالبعث والحساب يوم لقاء الله فى

(١) وقال عيسى رضي الله عنه : مدار الشريعة كلها أن تحب إلهك بكل نفسك ، وتحب أخاك كما تحب نفسك .

الآخرة ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارَكٌ﴾ وهذا القرآن الذى أنزلناه لكم مبارك، حفظه الله من التغيير، وهدى به أمة وسطاً إلى المنافع الدينية والدنيوية، فاتبعوا هداية ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ .

\*\*\*

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لُكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُمُ الْوَعْدُ وَهُمْ يُكْفَرُونَ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

أنزلنا عليكم القرآن حتى لا تقولوا إنما أنزلت التوراة والإنجيل على أمتين غيرنا، وكنا غافلين عن دراسة الأمتين؛ لأننا لم نكن مخاطبين بكتائبيهما؛ أو تقولوا لو أنزل الله إلينا كتاباً ﴿لُكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ فهذا هو القرآن بين أيديكم بياناً من الله، هداية للحيارى، ورحمة للعالمين، وليس هناك أظلم ممن يكذب بآيات الله ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض وصراف الناس عنها، أولئك سنجزئهم سوء العذاب ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ .

\*\*\*

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قامت الحجة أكثر من مرة ولم يؤمنوا، فماذا ينتظرون لكي يؤمنوا؟ ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ هل ينتظرون أن نرسل عليهم الملائكة، أو أن ينتزل عليهم أمر الله، أو تأتي بعض علامات الساعة؟ ألا يعلمون أنه حينئذ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ لأنه لا تقبل توبة كافر ولا مشرك عند قيام الساعة، فعندئذ ينتهى زمن التكليف. قل لهم يا محمد ﴿انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ انتظروا وترقبوا يومكم لتروا ماذا سيحدث لكم ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ مثلكم لنرى وعد الله.

\*\*\*

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ .

الدين هو إسلام الوجه لله، إيماناً به وبملائكته وكتبه وبرسله واليوم الآخر، والذين فرقوا الدين بالعقائد الزائفة والتشريعات الباطلة فصاروا أحزاباً متناحرة ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أنت يا محمد برىء منهم، ولن توأخذ بتفرقهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ هو الذى يحكم عليهم يوم الحساب.

\*\*\*

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ ثواب الحسنة عند الله عشر أمثالها، ويزداد ذلك إلى سبعمائة ضعف، وأكثر، والمراد بيان اللطف والكرم الإلهي وليس الحصر، ومن جاء بالسبيئة فلا يجازيه الله إلا بمثلها، إلا أن يعفو، وهو كما قال سبحانه وتعالى ﴿ويعفو عن كثير﴾ بل إنه يبذل السيئات حسنات إذا تاب المسيء وأصلح، حتى لو كان أشرك، وأسرف، وقتل، وزنى - كما بينت آيات سورة الفرقان ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يَضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)﴾ - قل يا محمد للعالمين: إن ربي أرشدني إلى الطريق المستقيم، وهو الدين الذى اتبعه إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل إلى الدين الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وما كان إبراهيم يُشرك بالله كما كان يفعل المشركون ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ قل يا محمد إن صلاتي ودعائي وجميع عباداتي وأفعالي وأقوالى فى حياتى، وما أحيأ وأعمل حتى أموت فى سبيله، هو خالص لله تعالى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وأنا أول المسلمين وجوههم لأمر الله ودينه.

\*\*\*

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١٦٤)﴾.

قل يا محمد مستنكراً دعوة المشركين لك لتعبد مع الله آلهة أخرى ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أأطلب للعبادة رباً غير الله رب العالمين الذى خلق كل شيء ورباه وكرم البشر وكلفهم بالخلافة؟ ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ كل إنسان يحاسب على أفعاله وحده، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، ولكن هذا لا يسقط مسئولية الفرد عن المجتمع، فهذا من ضمن تكاليف الخلافة، وقد نظمتها الشريعة.

\*\*\*

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَلْوَكُم فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥)

إن الله جعلكم خلائف يخلف بعضكم بعضاً فى الأرض، وهو الذى رفع بعضكم فوق بعض فى أحوال الدنيا ليتليكم ويختبركم بعضكم ببعض، والله سريع العقاب، وهو الغفور الرحيم فى الدنيا والآخرة.

\*\*\*